«الراعي الصالح»
(١٠: ١-٢١)

تأليف: بروس مكلارتي

قد تكون اجمل صورة عن الله هو انه راعينا. وهذه الصورة تظهر الرعاية، والاهتمام، واللطف، والتضحية. مقارنة الله بالراعي ونحن بالخراف هي مقارنة مناسبة جداً. على سبيل المثال، الخراف ضعيفة البصر ولا تعرف الاتجاهات. ولا تستطيع ان تدافع عن نفسها ضد الاعداء. عندما تكون الخراف في المرعى ويقفز أحدها فوق شيء خيالي، تقفز بقية الخراف معه. تساق الخراف إلى ابار ومنابع المياه حتى لا تموت عطشاً. تحتاج الخراف إلى مساعدة وهكذا نحن أيضاً!

بما ان صفة «راعي» ليست بالفكرة الإيجابية عند البعض، فالرعاة معروفين بالسكر، والكسل، وهم عمال غير مسؤولين. كما ان كلمة «أب» لها أفضل الصفات أو أسوئها. هكذا أيضاً يمكن لكلمة «راعي» ان تشير الى الشرف أو العار. على سبيل المثال يقدم المزمور ٢٣ تصور الله تصويرا رائعا كراعي مهتم. وفي تباين مع ذلك أعطى اثنان من أنبياء العهد القديم صفات للرعاة الشريرين:

> «يا جميع وحوش البر تعالي للأكل ياجميع الوحوش التي في الوعر. مراقبوه عمى كلهم، لا يعرفون، كلهم كلاب بُكْم لا تقدر ان تنبح، حالمون مضطجعون محبو النوم. والكلاب شرهة لا تعرف الشبع، وهم رعاة لا يعرفون الفهم، التفتوا جميعاً إلى طُرقهم كل واحد إلى الربح عن أقصى، هلموا آخذ خمراً ولنشتف مسكراً ويكون الغد كهذا اليوم عظيماً، بل أزيد جداً» (إشعياء ٥٦: ٩-١٢).

> «ويل للرعاة الذين يهلكون ويبددون غنم رعيتي، يقول الرب. لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل عن الرعاة الذين يرعون شعبي: أنتم بددتم غنمي وطردتموها ولم تتعهدوها. هأنذا أعاقبكم على شر أعمالكم، يقول الرب. وأنا أجمع بقية غنمي من جميع الأراضي التي طردتها إليها وأردها إلى مرابضها فتثمر وتكثر. وأقيم عليها رعاة يرعونها فلا تخاف بعد ولا ترتعد ولا تفقد، يقول الرب» (إرميا ٢٣: ١-٤).

يسمى الأصحاح العاشر من إنجيل يوحنا عادة بـ«أصحاح الراعي الصالح». ويتبع مباشرة قصة يسوع يشفي إنساناً وُلِدَ أعمى والحديث عن العمى الروحي لمنتقدي يسوع. يستمر إنجيل يوحنا بآخر خطاب شامل مدون فيه. لقد تحول التركيز من العمى إلى خراف، ولكن الرسالة مشابهة: يسوع هو بالحقيقة ابن الله، وذوي القلوب الصادقة والحنونة سيقبلون ذلك. تتركز رسالة درسنا هذا على ادعائين آخرين من قبل يسوع: «أنا هو».

«أنا هو الباب» (١٠: ١-١٠)

تبدأ الموعظة باستعارة عن الخراف والرعاة بيسوع يتصور زريبة الخراف (١٠: ١-٥). كانت الخراف تُجمع أحياناً في الليل في زريبة مصنوعة من حجارة أو أشواك. حفظ الخراف بهذه الطريقة جعل من السهل حمايتها من الحيوانات المفترسة واللصوص. ذكر يسوع مستمعيه كيف ان الرعاة الحقيقيون يدخلون من الباب ليأخذوا خرافهم. يدعون خرافهم بأسماءها، فتتبعهم خرافهم. وأما اللص فيتسلل

دائماً خلال السور لكي يسرق الخراف. كان يسوع يعني بانه لم يأتي ليضلل أو يخدع شعب الله. بل جاء من خلال الباب بالكلام الصريح علانية وليس بالتسلل ليجمع لنفسه أتباع. ولكن في ذلك الزمان لم يفهم مستمعوه (١٠: ٦).

قال يسوع أيضاً: «إني أنا باب الخراف» (١٠: ٧). ربما ادعى آخرون بانهم رعاة من الله، ولكنهم ما كانوا إلا لصوصاً وسارقون. خراف الله الحقيقية لم تستجب إلى أصوات الرعاة الكاذبين، وأصر يسوع على انه الباب الوحيد الحقيقي الذي يؤدي إلى الله. هذا يشبه عبارة لاحقة: «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي» (يوحنا ١٤: ٦). كانت العبارة «أنا هو الباب» هي ادعاء بانه هو الطريق الوحيد إلى الآب. والذين يحاولون المجيء الى الآب بطريقة أخرى كانوا لصوصاً وسارقيين. كنت أعرف شاب في سن البلوغ يعمل بصالون، يلمع الأحذية وينظف الأرض. وبعد مرور وقت لاحظ ما كان يستهلكه الناس من المال لشراء المشروبات من ماكينة المشروبات الغازية الموجودة بالمحل، فبدأ يخطط كيف يسرق ذلك المال. وفي إحدى الليالي رجع إلى الصالون بعد منتصف الليل وحاول ان يقتحم المحل بالتسلل من خلال فتحة في السقف. ولكن المشكلة هي ان الفتحة كانت صغيرة، وانحشر فيها. وفي تلك الاثناء رأه شرطياً، وبدأ يتوسل إليه من أجل المساعدة وبالطبع حاول ان ينفي انه كان بسوء النية! لم يصدقه أحد! لأن الناس الشرفاء لا يدخلون البيوت الا من ابوابها. هذا ما قاله يسوع عن المعلمين الكذبة.

من إحدى «أسرار الديانة» هو ان بعض القادة الدينيين لا يرغبون في ما لله. بعضهم يشاركون في أمور الكنيسة لكي يشبعوا رغباتهم في المال أو المنصب أو السلطة فقط. كلما نسمع عن فضيحة ما، نذهل في انه كيف يمكن لمن يقود في الكنيسة ان يتصرف بهذه الطريقة. أني لا أظن ان يسوع كان قد تعجب أبداً عندما كان السارقون واللصوص يحاولون ان يسرقوا القطيع. بل كان يعرف بانه ليس هو الشخص الوحيد الذي كان يريد {ان يملك} القطيع، ولكنه كان يعلم ايضا بانه الراعي الحقيقي الوحيد، وهو وحده الذي يهتم بخير القطيع. قال: «... وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (١٠: ١٠).

يظهر يسوع خلال إنجيل يوحنا داخلاً من الباب. لا يوجد بخدمته التبشيرية اي خداع، ولا تلاعب، ولا غش، ولا منفعة ذاتية. مع ان كلماته أدت إلى خلق الكثير من الجدل وإلى موته أخيراً، إلا ان يسوع أصر على الدخول من خلال «الباب». كان يعلم بان الذين رجعوا بقلوبهم إلى الله يسمعون صوته ويستجيبون بغض النظر عما يفعله بقية العالم.

حدث خلال الحرب العالمية الأولى ان مجموعة من الجنود الاتراك الجياع الذين كانوا متمركزين في إسرائيل قد وجدوا قطيعاً من الخراف. فبدأوا يدفعون الخراف أمامهم باتجاه معسكرهم، وهم مقتنعون بان ذلك سيكون وليمة رائعة. كان الراعي المسكين يراقب الخراف ولم يكن بامكانه مواجهة الجنود، ولم يكن بيده حيلة، فركض بسرعة بالاتجاه المعاكس عبر واد ضيق وصعد إلى قمة جبل قريب. ثم التفت وراءه ووضع يديه على فمه، ونادي على خرافه بطريقته المعتادة. توقفت الخراف فجأة عن السير مع الجنود، وبدأت تجري باتجاه الراعي. انذهل الجنود، ولم يستطيعوا ان يفعلوا شيئاً ليمنعوا الوليمة من الاختفاء في الظلام.

هذه هي العلاقة التي ليسوع مع خرافه اليوم! ما زالت خرافه تسمع صوته. والذين يطلبون الله حقاً سيعرفون نداءه ويجدونه. وهو سيعطيهم ملء الحياة. «الحياة» هي نقطة التركيز لإنجيل يوحنا (٢٠: ٣١). هذه ليست «الحياة الجيدة» أو «الحياة السهلة» التي نسعى إليها دائماً؛ بل هي «ملء الحياة» التي يعطيها يسوع للذين يسمعون صوته.

«أنا هو الراعي الصالح» (١٠: ١١-١٨)

تصريح يسوع القائل: «أنا هو الراعي

الصالح» (١٠: ١١) له صلة بتصريحه انه الباب ولكن مع اختلاف بسيط. كما ذكرنا آنفاً يمكن ان تكون لكلمة «راعي» معاني مختلفة. في هذه المناسبة لها معنى واحد معين كما كان يفكر به يسوع: «الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (١٠: ١١). رغم ان موته على الصليب لم يكتب عنه إلا بعد تسعة أصحاحات أخرى في إنجيل يوحنا، إلا ان يسوع كان قد بدأ يخبر تلاميذه بما يعنيه الصليب. كالراعي الصالح كان يسوع مستعداً ليضع حياته لأجل الخراف. لقد شدد في هذا النص القصير خمس مرات بان موته لا يكون شيئاً خارجاً عن سيطرته. وعندما يموت يكون ذلك لأنه فضل التضحية بحياته!

> «... الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (١٠: ١١).
>
> «... وأنا أضع نفسي عن الخراف» (١٠: ١٥).
>
> «... أضع نفسي لآخذها أيضاً» (١٠: ١٧).
>
> «ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي ...» (١٠: ١٨).
>
> «... لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً» (١٠: ١٨).

بذل الحياة هو أسمى ما يدل على الراعي الصالح. المأجورين لا يظهرون مثل هذا الإخلاص والتضحية. عندما تأتي مصيبة يختبئون، وينسوا الخراف.

كان داود (الذي اصبح في ما بعد ملك إسرائيل) راعياً في صباه. وفي ذلك الوقت كان قد تعلم الكثير عن الحياة، والقيادة، والله. لقد تعلم بصفة خاصة ماذا يعني ان تكون راعياً صالحاً. عندما أراد داود ان يقاتل جُليات العملاق الفلسطيني، قال لشاول:

> كان عبدك يرعى لأبيه غنماً، فجاء أسد مع دُب وأخذ شاة من القطيع. فخرجتُ وراءه وقتلته وأنقذتها من فيه، ولما قام عليّ أمسكته وضربته فقتلته. قتل عبدك الأسد والدُب جميعاً، وهذا الفلسطيني الأغلف يكون كواحد منهما لأنه قد عير صفوف الله الحي (صموئيل الأول ١٧: ٣٤-٣٦).

كان ملك إسرائيل القادم قد برهن بانه راعي أمين وصالح للخراف، وفي ما بعد سيثبت انه راعي أمين على شعب الله.

يسوع الذي يُسمى عادة في الأناجيل بـ«ابن داود» كان الراعي الصالح. وقد كرس نفسه للأهتمام والعناية بالخراف التي تحت مسؤوليته (بما فيها أنت وأنا) لكي يضع حياته لأجلنا كما فعل داود لقطيعه. لقد أوضح يسوع وهو يتكلم بصفته الراعي الصالح انه يمضي إلى الصليب «من ذاته» (١٠: ١٨). سيكون لكل من يهوذا ورؤساء الكهنة وبيلاطس والجموع دوراً في صلب يسوع، ولكنهم لم يعلموا بان مثل هذا العمل الفظيع قد يحدث فقط لأن يسوع قد شاء ان يضع حياته عن خرافه. يسوع هو الراعي الصالح!

ستذكرنا في ما بعد في إنجيل يوحنا عبارتين قالهما يسوع في حديثه عن الراعي الصالح. كان بيلاطس الوالي الروماني قد سأل يسوع سؤالاً خلال محاكمته. وعندما رفض يسوع ان يجيب، قال له بيلاطس: «أما تكلمني؟ ألست تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك؟» (١٩: ١٠). قال يسوع الراعي الصالح: «لم يكن لك عليّ سلطان البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق ...» (١٩: ١١). لم يكن بيلاطس قادر أن يأمر بصلب يسوع إن لم يسمح له يسوع بذلك ، مع ان هذا لم يفهمه أحد في ذلك الوقت. كان الصلب هو بالحقيقة تضحية الراعي الصالح! وفي النهاية عندما كان يسوع معلقاً على الصليب، «نكس رأسه وأسلم الروح» (١٩: ٣٠). لم تكن كلمات يوحنا هذه مجرد صدفة. لم يخطف أحد حياة يسوع منه. لم يقتله أحد. لم يضع له أحد مكيدة أو أوقعه في فخ الصليب. بل هو نفسه الذي أسلم روحه.

الخلاصة (١٠: ١٩ و٢٠)

نجد مرة أخرى كيف ان كلمات يسوع الرائعة قد جلبت الإنقسام بين الناس. قال البعض انه كان به شيطان، وهذه تهمة للتقليل من شأنه، كالادعاء بان شخص ما «مجنوناً» أو «مختل العقل». ولكن ظل آخرون يتعجبون من معجزته القوية في فتح عيني المولود أعمى. لم يؤمنوا

بان الشيطان يمكن ان يجري مثل هذا العمل الذي لا يُصدق. مع ان يسوع أحب كل الخراف، يحبه البعض أيضاً بينما يبغضه البعض الآخر. تذكرنا استجابتهم بان يسوع قد دعانا لنتبعه، ولكن القرار هو قرارنا.

يسوع هو الراعي الصالح. خرافه تعرف صوته وتتبعه. هو يقف اليوم على قمة جبل قريب وينادي باسمك. أتسمعه؟ أتعرف صوته؟ أتتبعه؟ اذكر بانه وضع نفسه عنك!

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧